سر الاعتقاد بالإمامة

<"xml encoding="UTF-8?>

إن تحقيق الهدف من خلق الإنسان مرتبط بهدايته بواسطة الوحي ، وقد اقتضت الحكمة الإلهية بعث أنبياء يعلّمون البشر طريق السعادة في الدنيا والآخرة ، والاستجابة لحاجاتهم ، وكذلك تربية الأفراد المؤهلين ، وإيصالهم لأرقى مراتب الكمال .

ويتم القيام بتنفيذ الأحكام والتشريعات الدينية والاجتماعية، فيما لو توفرت الظروف الاجتماعية المناسبة لذلك.

فإن الإسلام دين عالمي وخالد ، لا يُنسخ ولا يأتي بعد نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله) نبي آخر .

وإنما يتوافق ختم النبوة مع الحكمة من بعثة الأنبياء فيما لو كانت الشريعة السماوية مستجيبة لجميع الاحتياجات البشرية ، وقد تعهد الله عز وجل بحفظ القرآن الكريم عن كل تغيير وتحريف ، قال تعالى : (إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر : ٩ .

إلا أن جميع الأحكام الإسلامية لا يمكن الحصول عليها من ظواهر الآيات ، فالقرآن الكريم ليس في مقام بيان تفاصيل الأحكام والتشريعات ، بل ترك مهمة بيانها على عاتق النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال تعالى : (كَمَا أَرسَلنَا فِيكُم رَسُولاً مِنكُم يَتلُو عَلَيكُم آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُم وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُعَلِّمَكُم مَا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ) البقرة : ١٥١ .

ويكون ذلك من خلال العلم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى له (صلى الله عليه وآله) ، غير الوحي المنزَّل عليه .

وبسبب الظروف القاسية التي عاشها الرسول (صلى الله عليه وآله) ، كسنوات الحصار في شعب أبي طالب ، وعشر سنوات قضاها في جهاد الكفار والمشركين ، لم يكن باستطاعته بيان جميع الأحكام والتشريعات وما تعلمه الأصحاب من مسائل لم يكن بمقدورهم الحفاظ عليها .

فقد اختُلِف – على سبيل المثال – في وضوء النبي (صلى الله عليه وآله) بالرغم من أنه كان يتوضأ بمرأى من

الجميع .

من هنا يتضح أن الدين الإسلامي إنما يمكن طرحه كدين شامل وكامل ، يستجيب لكل الاحتياجات البشرية ما دام الإنسان موجوداً على الأرض ، فيما لو افترض وجود طريق لتوفير المصالح الضرورية للأمة في داخل نفسه .

تلك المصالح التي يمكن أن تتعرض للتهديد والتدمير مع وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) .

ولا يتمثل هذا الطريق إلا في تعيين الخليفة الصالح الذي يملك العلم الموهوب من الله ، ليمكنه من بيان الحقائق الدينية لكل أبعادها وخصوصياتها ، ويتمتع بالعصمة لكي يقوم بالدور التربوي الذي كان يقوم به الرسول (صلى الله عليه وآله) ويتصدى للحكم حينما تكون الظروف مؤاتية .

وخلاصة القول :

إن ختم النبوة إنما يكون موافقاً للحكمة الإلهية ، فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم ، الإمام الذي يمتلك خصائص نبي الإسلام كلها عدا النبوة والرسالة .

وبذلك تثبت ضرورة وجود الإمام ، وضرورة امتلاكه العلم الموهوب من الله ، والعصمة ، وكذلك لزوم تعيينه وتنصيبه من قبل الله تعالى ، إذ هو وحده الذي يعرف الشخص الذي أعطاه هذا العلم ، وهذه العصمة ، لأنه يملك حق الولاية على عباده .

ومن هنا تتضح مكانة (الإمامة) في الفكر الشيعي ، ولماذا تُعتبر عندهم أصلاً عقائدياً ، لا حكماً فقهياً فرعياً .